الفيزيقية فحسب، ولكنه ينطبق على المدركات العقلية أيضاً. وكذلك فإن كلمة المعرفة- كما تستعمل عادة - كلمة مسرفة فى عدم تحددها. ذلك أنها تغطى عددًا من الأشياء المختلفة، وعددًا من مراحل التفكير بداية من اليقين إلى الإحتمال الضعيف أو الشك المطلق»[1].

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن رسل هو أول من خلق create الفلسفة التحليلية دون مساعدة من غيره، فقد تأثر فى ذلك بالعديد من المناطقة والفلاسفة التحليليين فى عصره أمثال «بيانو» و«فريجه»، وكذلك تأثر بفلاسفة مدرسة كيمبردج أمثال «مور» و«وايتهد». كما تأثر رسل بديكارت وليبنتز وبعض فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى، حيث قام رسل بدمج كل هذه التأثيرات فى فلسفته ليخرج منها بمدخل جديد لحل المشكلات الفلسفية، وعليها فقد لعب رسل دورًا مهما فى نجاح الثورة الفلسفية فى القرن العشرين[2].

ثالثًا: النظرية الحدسية(*)

هل يمكن القول بأن النظرية الحدسية في الأخلاق عند رسل قد نشأت من فراغ خلقي؟ أم أن نظريته الحدسية جاءت متأثرة بأفكار الفلاسفة الآخرين؟ و إلى أى حد جاءت حدسيته

(1) برتراند رسل: فلسفتى كيف تطورت، مصدر سابق، ص ص161،162.

(2) A.C. Grayling: Russell, A very short introduction, op. cit, p.2.

(*) - الحدس Intuition: هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره فى العمليات الذهنية، فيلحظ فى الإدراك الحسى و يسمى حدسًا حسيًا intuition sensible، و يكون أساسًا للبرهنة والإستدلال و يسمى حدسًا عقليًا intuition rationelle وعن طريق الحدس ندرك حقائق التجربة، كما ندرك الحقائق العقلية، وبه نكشف عن أمور لا سبيل إلى الكشف عنها عن طريق سواه، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة أو الإلهام. أما النزعة الحدسية Intuitionism: فهى نظرية فى الخيرية Goodness تبدو قريبة الشبه بمذهب اللذة Hedonism فى فلسفة الأخلاق، وذلك من حيث كونها تبدأ من شيئاً ما مباشراً، ذلك الشيء ربما ندعوه بـ»الشعور» feeling ولكن تتميز النزعة الحدسية عن مذهب اللذة فى أن الأولى لديها الحس الخلقى moral feeling الذى من خلاله يمكن التفرقة والتمييز بين الشعور باللذة pleasure والألم pain وكذلك الشعور بصواب الشيء وخطأه، كشعورنا بأن هذا الشيء يعد سارًا أو قبيحًا. وللحدسية الأخلاقية صور ثلاث هى:

1- الحدسية الفردية individual intuition وفيها يحدس الفرد بشكل مباشر الموضوعات والأفعال، و يكون الحكم على الموضوع أو الفعل بأنه صائب أو خاطىء من خلال ادراك الفرد المباشر له دون توسط لأية عمليات عقلية أو استدلالية. =

الأخلاقيـة فى ثوب جديد للحدسـية المورية؟ وكيف امتد تأثير صديقه مـور عليه من إثباته تهافت المثالية إلى تبنيه الحدسية الأخلاقية؟

إن بيـان تأصيـل الفكـرة الفلسـفية فى البحـث الفلسـفى يعـد مـن ضروريـات البحث وأخلاقياتـه، حتـى يتبين للباحث مدى أصالـة الفكرة وعمقها من الناحية الفلسـفية كتحليل فلسـفى، ومن الناحية التاريخيـة للرجوع إلى أصل المفاهيم والأفـكار حتى نتمكن من معرفة أصالتها تاريخيًا.

فإذا كان الفيلسـوف الأمريكى جورج سـانتيانا قد اعترف بنفسـه بأنه يدين فى نظريته الطبيعية الأخلاقية إلى الفيلسوف البولندى باروخ اسبينوزا(*) Spinoza، وذلك بما أكد عليه

= 2- الحدسية العامة the General intuition حيث يعتقد الكثير من الناس أننا نعرف حدسيًا intuitively أن أنواعًا محددة من الفعل تكون صائبة وأخرى خاطئة، ولكن هناك حقيقة ترى أن حدوسنا تمدنا بقواعد عامة للأخلاق هى قواعد صادقة بلا استثناء فى جميع الظروف، بينما رآها «سيدجويك» Sidgwick أن مثل هذه القواعد الحدسية ليست صادقة فى جميع الأحوال والظروف، لأنه توجد قواعد يمكن أن نشك فيها بالإضافة إلى قواعد أخرى لا تكون صادقة أبدا، فالقتل يعتبر فعلاً خاطئًا ولكن عندما يقترن القتل بالدفاع عن النفس لا يكون كذلك، لذلك ذهب «سيدجويك» إلى تأكيد أن الحدوس العامة لا تكون حدوسًا مطلقة، فهى ليست إلا تعليمات تم اشتقاقها من الخبرة المتعلقة بأنواع من السلوك التى تؤدى إلى سعادتنا العامة فى المجتمع.

3- الحدسية الكلية the Universal intuition تعتبر النظرية القائلة بالحدس نظرية فلسفية أكثر منها نظرية أخلاقية، ذلك أن الحدس يهدف إلى الوصول إلى الحقائق الكلية، وهذا هو المقصود بالحدوس الكلية. كما أن ما ندركه بواسطة هذه الحدوس ليس هو الصواب والخطأ، بل هو بعض القواعد أو المبادىء العامة التى يمكن أن تقدم لنا يد العون، سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، من أجل الكشف عما إذا كان الفعل صائبًا أو خاطئًا.

انظـر:

H. J. Paton: The Good Will, A Study in the Coherence Theory of Goodness, George Allen & Unwin LTD, London, 1927, pp. 135-139.

وانظر أيضًا- رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية فى الجمال والأخلاق، مرجع سابق، ص ص 235،236.

- وفاء إبراهيم: دراسات فى الجمال والفن، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص10.

(*) أن الذي جعل سانتيانا يشيد بفلسفة اسبينوزا هو أن سانتيانا رآه واحدًا من أعظم الرجال الذين نمت شهرتهم بشكل أكثر وضوحاً على مرور السنين، فاسبينوزا مثل الجبل الذي حجب واختفى في بدءه عن الرؤية بسبب هذه التلال الصغيرة التي حالت بينه وبين الظهور. كما أنكر اسبينوزا العلل النهائية=

سانتيانا نفسه فى العديد من كتبه على أن فلسفته الطبيعية فى الأخلاق تعود بالضرورة إلى تأثير فلسفة اسبينوزا الأخلاقية، حيث أن اسبينوزا هو الفيلسوف الذى رد الإنسان إلى الطبيعة، وجعل منه النواة الرئيسية لجميع القيم الأخلاقية، موضحًا كيف يتعرف الإنسان على بيئته، وكيف يصبح سيدا عليها[1]. فليس عجبًا أن تعود نظرية برتراند رسل الحدسية(*) فى الأخلاق إلى صديقه فى الدراسة «جورج إدوارد مور» حيث كان لـ «مور» الأثر الواضح فى تحول رسل من موقفه المثالى إلى المكانة التى هو عليها الآن، بعد أن كان واقعًا

=أو الأغراض التي تكون للعمل في الطبيعة، وعلى غرار هذا المعنى الحسي أنكر اسبينوزا خلود الروح the Immortality of the Soul والإرادة الحرةFree-Will، كما أنكر اسبينوزا المسئولية الأخلاقية، فالذي جعل اسبينوزا كما يقول سانتيانا يتحول إلى هذه الاتجاهات الأخيرة هو ذلك التجديف الإيجابي الذي جعله يطابق بين الطبيعة والرب.

انظـــر:

G. Santayana: Introduction in Spinoza Ethics. J.M. Dent- Son Ltd, London, 1938, P. Vii.

(1) G. Santayana: Reason in Common Sense, vol I, in: the Life of Reason, Archibal constable, London, 1906, p.31.

(*)- يشير الكاتب إلى حقيقتين مهمتين فى هذا الفصل:

الحقيقة الأولى: أن معظم الباحثين والكتاب فى الفلسفة الأخلاقية المعاصرة، وبخاصة الغربيين منهم، عندما كانوا بصدد الحديث عن النظرية الحدسية فى الأخلاق، بدأوا يذكرون فى كتاباتهم أن المشرع الأول والمنظر لهذه النظرية هو الفيلسوف الإنجليزى «جورج إدوارد مور»، ولكن عندما ذكروا اسم فيلسوفنا «برتراند رسل» فى نظريته الحدسية فى الأخلاق، أقرنوا اسمه باسم صديقه «جورج مور» فكانت عباراتهم الفلسفية تقول الاسم هكذا «مور ورسل» ولم يذكروا الفيلسوف محل الدراسة منفصلاً عن صديقه «مـور»، كما أن «مور» هو رائده فى الخروج على المثالية الألمانية بكافة صورها، وكذلك لكونه المشرع الرئيسى للنظرية الحدسية فى القرن العشرين، من خلال كتابه «أصول الأخلاق» عام 1903م، ومن خلاله كتب رسل «عناصر النظرية الأخلاقية» عام 1908م، متأثرًا فيه بآراء صديقه «جورج مـور»، ولا يعنى هذا عدم وجود اختلافات بين الفيلسوفين فى عرضهما للنظرية، وهذه الاختلافات سوف يقوم الباحث بتوضيحها من خلال تحليله للرأى والنقيض.

الحقيقة الثانية: أن بعض الكتاب والباحثين يرون أن النظرية الحدسية فى فلسفة رسل، تمثل المرحلة المبكرة من تفكيره الأخلاقى،فيطلقون عليه اسم «رسل المبكر»، وهذا فيما يرى الباحث يعد خطأً جسيمًا، إذ أن النظرية الأولى التى اعتنقها فيلسوفنا كانت النفعية الأخلاقية التى سايرفيها آراء وأفكار «جون ستيوارت مل»، ولكن أخفى رسل إيمانه بهذه النفعية، وذلك كما جاء مسبقًا فى سيرته الذاتية، لظروف أسرية وعائلية، فمن الخطأ أن نغفل هذه الفترة المهمة التى كانت فى أواخر القرن التاسع عشر من فكر الفيلسوف.

تحت تأثير تعاليم ماكتجارت، وكتابات برادلى إلى شكل من أشكال الواقعية الأفلاطونية Platonic Realism[1].

وعلى الرغم من وجود اختلافات بين كل من «مور» و«رسل» فى الاهتمامات فيما بينهم [2]. إلا أننا نجد أن فيلسوفنا قد وافق «مور» فى نظريته الحدسية بشكل كلى، فإذا كان «مور» قد بدأ نظريته الحدسية بتوضيح الأساس الذى يجب أن نبدأ به قبل الشروع فى الإجابة عن أى تساؤل فلسفى، وهو توضيح معنى هذا التساؤل، مثله فى ذلك مثل سائر الأسئلة الفلسفية، وذلك لأن معظم المشكلات الفلسفية تنشأ عن محاولة الفلاسفة الإجابة عن أسئلة غير متضمنة المعنى، ولأنه فى وسع هؤلاء الفلاسفة أن يتجنبوا مصدر هذا الخطأ إذا ما كشفوا عن السؤال الذى يسألونه قبل الإجابة عنه، و يتحقق ذلك عن طريق التحليل والتمييز، وهو عمل شاق وصعب.. غير أنه إذا قمنا بمحاولة جادة تقوم على العزم والإصرار يمكن أن نبلغ النجاح، و بالتالى نستبعد أصعب المشكلات وأشدها نزاعًا فى الفلسفة...[3].

لذلك قال «مور» فى «البرنكيبيا» إنه لكى نقدم تعريفًا صحيحًا للنظرية الأخلاقية يجب علينا أن نكشف أولاً عما هو مشترك a mong بين أحكامنا اليومية الأخلاقية التى لا شك فى صحتها[4].

إنه من المعروف فى تاريخ الفكر الفلسفى المعاصر بأن كل من مور ورسل قد قضيا كثيرًا من الوقت فى مناقشة القضايا الفلسفية، و بصفة خاصة فى السنوات الأخيرة من القرن الأخير، وأن رسل يدين بدرجة كبيرة جدا لصديقه جورج مور فى مقاله المنشور عام 1908 ألا وهو «عناصر النظرية الأخلاقية» The Elements of Ethics فهو يدين لمور فى هذا العمل أكثر من غيره، و يبدو القول أكثر تشويقاً إذا قلنا بأن كل واحد منهما (رسل ومور) قد تعلم الكثير من الآخر[5].

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, op. cit, p.2.

(2) R. M. Sainsbury: Russell, op. cit, p.3.

(3) وفاء إبراهيم عبدالرحمن: فلسفة التحليل عند جورج مور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1992م،ص 237.

(4) G. E. Moore: Principia Ethica, Cambridge At The University Press, London, 1951, p.1.

(5) Ibid: p.3.

إذا كان رسل قد قبل آراء جورج مور بشكل كامل فى نظريته الحدسية فى الأخلاق، فإنه ليس من الصواب أن نقول أن مور قد عمل فى استقلال عن رسل، فقد كانوا زملاءً وأصدقاءً فى جامعة واحدة، يؤثرون فى بعضهم البعض من خلال آراؤهم الفلسفية، وقد كتب مور بطريقة متواضعة فى التعبير، بأنه لا يعرف أن رسل يدين له بشىء سوى تلك الأخطاء، ولكننى أقول أنى قد تأثرت برسل بشكل منفردٍ أكثر من أى فيلسوف آخر[1].

وعليه فإن المصطلح المناسب الذى يتوافق مع الفيلسوفين هو مصطلح «الموضوعية» Objectivism بينما المصطلح الأكثر دقة فى التعبير هنا هو مصطلح «الحدسية» Intuitionism، ولكن المصلح الأكثر توصيفًا فى التعبير هو «النفعية المثالية» Ideal Utilitarian[2]. مع العلم بأن النظرية الحدسية عندما كانت نظرية فى الخيرية أصبحت قريبة الشبه فى وشائجها الأخلاقية بمذهب اللذة الخلقى.

ولكن على الرغم من أن رسل يرى الخير خاصية موضوعية لأشياء معينة، وأنه لا يمكن تعريفها، ولذلك لا يمكن أن يتوحد مفهوم الخير هنا مع ما هو لاذ. إن ما يعطى لذة قد يكون خيرًا، بيد أنه إذا كان كذلك، فإن ذلك يرجع إلى أنه يمتلك، فضلاً عن اللذة خاصية الخير التى لا يمكن تعريفها. إن الخير كما يرى الفيلسوف محل الدراسة لا يعنى «ما هو لاذ» أكثر مما يعنى «ما هو موجود»[3].

و إذا افترضنا مع «رسل» أن الخير خاصية ذاتية، ولا يمكن تعريفها لأشياء معينة، فإنه لا يمكن إدراكه إلا بصورة مباشرة ولا يكون الحكم الذى يُعبر عنه بهذا الإدراك قابلاً للبرهان[4].

وهنا يتساءل الكاتب ...

هل كانت هذه النزعة الحدسية التى يرتضيها رسل كنظرية علمية فى الأخلاق وليدة الفيلسوف الإنجليزى جورج مور فى القرن العشرين؟؟ أم كان لها بدايات تأصيلية لدى

(1) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, George Allen & Unwin L. T.D, London, 1972, pp.465,466.

(2) Ibid: p.463.

(3) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 676.

(4) المرجع السابق: نفس الصفحة.

غيره من فلاسفة العصور الحديثة؟؟ و إلى أى حد بدت النظرية الحدسية فى الأخلاق مبنية على منطق التصورات والنقد؟؟

يمكن القول أن الاعتقاد بالحدس مصدرًا أو وسيلة للمعرفة هو اعتقاد قديم قدم الفلسفة نفسها. فلقد وجد الاعتقاد فى المصطلح فى المعرفة والوجود وأيضاً فى مجال القيم، ومنذ أفلاطون والفلاسفة يميزون بين ثلاثة أنواع من المعرفة، المعرفة القائمة على المعطيات الحسية، والمعرفة الاستدلالية، وأخيرًا المعرفة الواضحة بذاتها، وأعنى بها المعرفة الحدسية[1]. وامتد تأصيل المصطلح إلى العصور الحديثة، حيث أكد رسل على أن هيوم كان يعتبر نفسه فى المقام الأول «فيلسوف أخلاق» وكان تقديره لنفسه كفيلسوف أخلاق يفوق تقديره لنفسه باعتباره «فيلسوفًا نظرياً». وأن هيوم يعترف بأن كتابه « بحث فى مبادئ الأخلاق» هو أفضل أعماله على الإطلاق[2].

بينما كانت رؤية رسل لكتاب هيوم «بحث فى مبادئ الأخلاق» بأنها رؤية غير مكتملة، وهذا ليس عيبًا فى كتابات هيوم الأخلاقية أو قصور فيها، و إنما لأن هيوم لم يفصح فى هذا الكتاب صراحة عن «ماهية التحليل» الذى أدى به إلى الإدراك السديد للمشكلات التى لم يكن أحد من الفلاسفة السابقين عليه واعيًا بها[3].

من خلال ما سبق يمكن القول أن «ديفيد هيوم» قد قدم فى الكتاب الأول من «رسالة فى الطبيعة البشرية» الذى عنوانه «فى الفهم» On Understanding نظرية فى التعريف، تماثل نظرية التعريف الحقيقى Real Definition وهى النظرية التى تبناها فيما بعد، جورج مور فى الفصل الأول من كتابه «أصول الأخلاق» عام 1903م، وكذلك برتراند رسل فى الفصل الأول من كتابه «مقالات فلسفية» وهو الفصل الذى عقده لعرض وجهة نظره فى النظرية الحدسية فى الأخلاق تحت عنوان «عناصر النظرية الأخلاقية»[4]. وقد كانت هذه التأثيرات المستمدة من «هيوم» هى تلك التأثيرات التى أشار إليها «ألفريد جولس آير» عندما قال أن رسل لديه

(1) محمد مدين: الأكسيولوجيا فى الفكر الفلسفى المعاصر، مرجع سابق، ص73،74.
(2) محمد مدين: نظرية القيمة عند ديفيد هيوم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص7.
(3) المرجع السابق: ص8.
(4) المرجع السابق: ص9.

العديد من النقاط التى يتشابه فيها مع «ديفيد هيوم»، كما يأتى رسل على حد تعبيره فى الترتيب مع «هيوم» فى كونه أستاذًا للنثر الإنجليزى[1].

لقد أعلن برتراند رسل فى مفتتح «عناصر النظرية الأخلاقية» أن توجهاته الميتا أخلاقية تختلف عن الأخلاق الوضعية الأخرى، فإن نظريته الأخلاقية التى تم عرضها فى عناصر النظرية الأخلاقية تختلف عن الرؤية التى قدمت فى الفلسفة الخلقية النفعية، حيث يرى أن النظرية الأخلاقية ربما تدرك بشكل شائع على أنها تركز على أسئلة من قبيل: ما نوعية الأفعال التى ينبغى على الإنسان أن يؤديها؟ وما نوعية الأفعال التى ينبغى عليه أن يتجنبها؟ أعنى، هل مهمة فيلسوف الأخلاق هدايتنا إلى ما ينبغى Ought علينا أن نؤديه فى المواقف الحياتية؟ وهل يهتم البحث فى النظرية الأخلاقية بالسلوك الإنسانى[2]؟

يجدر بنا أن نقول مع رسل أنه بالنسبة للسلوك البشرى Human Conduct وتحديد ما هو فاضل Virtuous وما هو باطل Vicious بين نوعيات السلوك التى يمارسها الجنس البشرى، وما يستجيبون لاختياره، فإن هذا الرأى فى هذا المجال يكون مختصًا بالفلسفة الخلقية بوصفها دراسة عملية، مقارنة بالجوانب المعارضة للدراسة النظرية، فالخير Good والصحيح True يُدْرسان أحيانًا تحت إطار الفضائل الأخلاقية، فينتمى المصطلح الأول إلى مجال النظرية الأخلاقية Ethics بينما المصطلح الثانى تختص به العلوم[3].

وهنا يرى رسل أن التصور السابق تقديمه يعتريه النقص والخلل فى شتى جوانبه، حيث يغفل فى المقام الأول موضوع Object النظرية الأخلاقية وخصائصها، باعتبارها نظرية تهدف إلى كشف وتحليل الأفكار والقضايا الصحيحة true عن about السلوك الفاضل والسلوك الشرير، وهذه النظرية تمثل جزءًا من الحقيقة truth بوصفها قضايا صادقة مثل قضايا الأكسجين وجداول الضرب. والهدف من هذه النظرية ليس الممارسة أوالعمل(*)، ولكن

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, op.cit, p.8.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, in Philosophical Essays, George Allen & Unwin Ltd, London, 1966, p.13.

(3) Ibid: p.13.

(*) يشير الكاتب إلى أن رسل يرى هنا أن النظرية الأخلاقية لا تهتم فى الأساس بالقضايا العملية، أعنى بالتقريرات الخاصة التى ينبغى علينا القيام بها فى المواقف الحياتية العملية، فالقضايا الأخلاقية التى هى=

الهدف منها هو تحليل Analysis الممارسة العملية، وبالتالى فليست هذه الأفكار تمثل دراسة عملية فى حد ذاتها، فهى كقضايا الغازات التى تقول بأنها عبارة عن مشتقات الغاز، وكذلك كدراسة علم النبات الذى يهتم بدراسة الخضروات، وكذلك علم الحيوان الذى يهتم بدراسة الحيوان zoology animal وهكذا تكون دراسة النظرية الأخلاقية، فدراستها ليست شيئًا خارجًا عن نطاق العلم، أنها فقط مجرد علم من العلوم[1].

إن ما أكد عليه الفيلسوف محور الدراسة قد قال به «مور» من قبل، ولكن فى شكل مختلف من العبارات ولكنها تؤدى نفس المعنى والمضمون فى رأى الباحث، فقد ذكر «مور» أنه إذا كانت النظرية الأخلاقية تهتم بالسؤال ما هو السلوك الخير what good conduct فإن هذا التساؤل لا يمكن أن يكون نقطة البدء فى أية دراسة أخلاقية مالم يخبرنا أولاً ما هو الخير ثم يخبرنا ما هو السلوك؟

لقد رأى «مور» أن السلوك الخير عبارة عن فكرة مركبة complex idea فليس كل السلوك خيرًا، فبعضه بالتأكيد سيئًا bad وربما كان بعضه الآخر محايدا indifferent ومن ناحية أخرى، فإن هناك أشياء أخرى بخلاف السلوك يمكن أن تكون خيره، عندئذ سيشير الخير إلى خاصية property يشترك فيها السلوك مع الأشياء الأخرى، ولذلك إذا قمنا بفحص السلوك الخير وحده دون الأشياء الأخرى كلها، سوف نقع فى خطأ كبير يتعلق بهذه الخاصية التى لم يشترك فيها مع تلك الأشياء الأخرى، ولكى نتجنب الوقوع فى هذا الخطأ علينا أن نسأل،

= محور النظرية الأخلاقية عمومًا «سواءًا كانت النظرية حدسية أو إنفعالية» ليست قضايا عملية يمكن أن يواجهها المرء فى حياته اليومية، فالنظرية الأخلاقية هنا شبيهة تماما بقضايا العلم التى تدخل فى إطار فلسفة العلم، ولكن لا تدخل تحت إطار التجربة أو التحليل المعملى، وإنما تعالج النظرية الأخلاقية التصورات والقضايا المبنية على مبدأ النقد الخلقى. وهنا يتفق رسل مع صديقه مور، حيث أنه من الخطأ عند الفيلسوفين أن ننظر إلى قضايا النظرية الأخلاقية على أنها مقيدة بالسلوك conduct الإنسانى أو الخيرية الخلقية moral goodness فالنظرية الأخلاقية يتسع مجالها لما هو أكثر من السلوك، فالسلوك تعالجه علوم أخرى غير الأخلاق مثل الدين أو أصول الفقه، من هنا ينبغى التفرقة بين المصطلحين فى فلسفة رسل الأخلاقية، وهما مصطلح ethics الذى يعنى بالنظرية هنا ولا يعنى مشكلة خلقية بأى حال، وهذا المصطلح يخضع تحت إطار النظرية الحدسية، وهو يعالج موضوعات النظرية، ويستخدم منهج التحلِّيل للكشف عن الميتا أخلاق، حيث يمثل دراسة نقدية عن الأخلاق، والمصطلح الثانى وهو moral وهو يترجم هنا بمعنى خلقى وتكون الصفة منه هى الكلمة morality بمعنى الخلقية، وهو هنا يشير إلى المشكلة الخلقية التى تعتنى بالسلوك الخلقى.

(1) Ibid: p.14.

أولاً: ما هو الخير بوجه عام؟ what is good in general حتى يتسنى لنا أن نضع فى اعتبارنا سؤالا عما يكون السلوك الخير. وبالتالى تكون بداية الأسئلة المقترحة من قبيل: ما هو الخير؟ وما هو السيء؟ وأن مناقشة هذين السؤالين يعطينا الاسم الحقيقى للنظرية الأخلاقية التى يجب أن تكون كالنظرية العلمية[1].

من خلال النصوص السابقة للفيلسوف محور الدراسة يتضح أن دراسة النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية فلسفية ليست هذه الدراسة خارجة عن نطاق العلم، أى أن رسل يدعو إلى علمية النظرية الأخلاقية دون أن تدخل نظريته داخل نطاق العلم ذاته، وعليها تكون قضايا النظرية الأخلاقية جزء من الميتا أخلاق، فتصبح عبارة عن تحليل لفلسفة الأخلاق ذاتها، «حيث تصبح عباراتها فى هذه الحالة عبارات «ميتا أخلاقية» Meta- Ethical تشبه فى بنائها القضايا التى تقال عن الغازات بأنها ليست غازية»[2].

يرى رسل أنه من غير الملائم فى النظرية الحدسية الأخلاقية أن تجيب على أسئلة خلقية من قبيل «ينبغى عليك أن تؤدى هذا الفعل أو عليك أن تتجنبه» وكذلك عندما نطلب من شخص أن يقول الصدق وأن يتجنب السرقة. فالسبب فى هذه الأسئلة الخلقية كما يقول رسل يتعلق بالتجارب الشخصية العملية، فهى عبارة عن نتائج هذه الأفعال الخيرة أو الشريرة، وبالتالى تكون نتائجها عملية حيث تؤدى إلى تقوية رابطة الصداقة، وتعمل على تحسين العمل التجارى، وعلى ذلك تزداد ثروات المجتمعات التى تزاول هذه الممارسات العملية. ولكن إذا تساءلنا هنا لماذا كان ينبغى علينا أن نهدف إلى زيادة رابطة الصداقة فى المجتمعات؟ كانت الإجابة أن هذه الأشياء خيرة Good وبالتالى تؤدى هذه الأشياء إلى السعادة Happiness والسعادة بطبيعتها خيرة[3].

ولقد أكد على هذا القول «مور» أيضًا عندما رأى أن الأخلاق تمتاز بأنها عامة، إذ أنها لا تتناول وقائع الطبيعة الفردية individual والجزئية particular التى تقوم بدراستها علوم أخرى، مثل التاريخ، والجغرافيا، وعلم الفلك astronomy[4]. ومن ثم لم يكن من مهمة فيلسوف الأخلاق أن

(1) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.2-3.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.13.

(3) Ibid: p.14.

(4) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.2-3.

يقدم نصائح وارشادات شخصية، وبذلك يكون موضوع الأخلاق المباشر هو معرفة هذه المبادىء أو المبررات وليس الممارسة أو العمل بها، ولا يتم ذلك فى رأى «مـور» بأن يعيش الإنسان حياة خيرة دون أن يعرف المبادىء الأساسـية للأخـلاق، وأن يصحح مبادئه العلمية، فمهمة الأخلاق أن يعلم الإنسان ما هو حقيقى بالنسبة لفعل الخير، وليست الأخلاق أن تجعل الناس يفعلون الخير[1].

إذن تختلـف النظريـة الأخلاقية التى ينادى بها كل من «مـور» و«رسـل» عن الفلسـفة الخلقيـة التقليديـة، فى كون الثانية تهتم بتقديم النصائح السـلوكية للإنسـان، بينما الأولى تعد أكثر تنظيرًا وموضوعية، لذلك كانت الفلسـفة الخلقية moral Philosophy هى ذلك التساؤل الفلسفى المتعلق بما ينبغى وما لا ينبغى أن يكون[2].

إن هـذه النظرة الحدسـية التى يقول عنها رسـل بأنها تختلـف اختلافًا بعيدا عن الفلسـفة الخلقية السلوكية القديمة، لم يكن رسل هو أول من تبناها، فقد سبقه «جورج مـور» على حد تعبـير «ألفريد جولس آير» عندما قال أن المهمة الرئيسـية للأخلاق هى البحث فى ماصدقات الخاصيتين الرئيسـيتين للأخلاق وهما: الخير والشر، حيث أن الخير على حد تعبير مور وسـايره رسـل فى ذلك خاصية بسـيطة وليسـت طبيعية، وغير قابلة للتحليل، ومن ثم فالفلاسـفة الذين وحـدوا بين الخير والسـعادة، أو بينه وبين التقدم أو التطور، أو بينـه وبين أى خاصية طبيعية أخـرى (مثـل اللذة والمنفعة أو حـدود غير طبيعية مثل تحقيـق الذات، والالتـزام بأوامر الله ونواهيه دون أن يفقد الحد «خير» شـيئاً من معناه») قد ارتكبوا ما يسـميه «مـور» المغالطة الطبيعية»[*] The Naturalistic Fallacy[3].

---

(1) وفاء إبراهيم عبدالرحمن: فلسفة التحليل عند جورج مـور، مرجع سابق، ص239.

(2) D. D. Raphael: Moral Philosophy, op. cit, p.8.

(*) تعنى المغالطة الطبيعية- أى تعريف الخير بخاصة من الخصائص الداخلة فى نطاق الطبيعة، كالقول أن الخير هو السار أو ما هو مرغوب، ففى القول أن أياً من هاتين الصفتين التى تعرف الخير ارتكاب لهذه المغالطة، ذلك أن هاتين الصفتين موجودتان فى الزمان والمكان، ومن ثم فهما داخلتان فى نطاق الطبيعة، ثم أن المغالطة الطبيعية تنطوي أيضاً على عدم القدرة على إثبات خطأ الغير، فإذا قال شخص ما «المثلث دائرة» وقال آخر «المثلث خط مستقيم» فلن يستطيع أحد منهما من خلال ذلك القول البرهان على خطأ الغير.
انظـــر: ألفريـد جولس آيـر: الفلسفة فى القرن العشرين، مرجع سابق، تعليقات المترجم، هامش ص121.

(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

وهذه المغالطة كانت عبارة عن خطأ على حد تعبير «مـور» وذلك عندما حاول تقديم الأسس المهمة للأخلاقية Morality الفلسفية، تلك الأسس المتضمنة لتعريف التصورات الأخلاقية[1].

من هنا يمكن القول أن فيلسوف الميتا أخلاق يبدأ عمله بعد أن يفرغ «فيلسوف الأخلاق» مـن وضع نظريته بالفعل. فالميتا أخلاق تتعلق بالنظريات الأخلاقية بنفس العلاقة التى تتعلق بها «فلسفة العلم» بالنظريات العلمية، ومن ثم فهى دراسة يصح وصفها بأنها «محايدة» أعنى - أنها لا تتحيز لمعيار دون آخر أو لمفهوم دون غيره[2].

إذا كان رسـل قد أشار إلى أسبقية «ديفيد هيوم» فى تحديد النظرية الأخلاقية الحدسية، إلا أنـه يدين بالفضل الأكـبر فيها إلى معاصره «مـور» حيث لم يقبل «مـور» أى اعتماد للأخلاق عـلى أى علـم آخر، حيث رأى أن الأخـلاق وحدها هى التى تتعامل مـع القيمة value ومن ثم رفض كل النظريات الأخلاقية التى تأسست على العاطفة[3]*، وآراء المجتمع، وآراء الآخرين، وآراء أغلبيـة الجنس البـشرى، وقرارات بعض الكائنـات غير الإنسـانية، باعتبارها نظريات تناهض اسـتقلال الأخلاق[4]. ولذلك جاء تصوره للأخلاق على أنها البحث العام فيما هو خير وليس على أنها تناول للسلوك الإنسانى باعتباره خيراً أو سيئاً[5].

ولم تقـف التوجهـات الميتا أخلاقية عند رسـل، بل سـاير مـور أيضاً عدد من الفلاسـفة المعاصريـن، أمثال «ايونـج» A.C. Ewing حيث يعد هذا الأخير صاحب نظرية حدسـية فى الأخـلاق، وذلـك إذا وضعنا نظريته فى مواجهـة النظريات «الوضعية» الخالصـة أو ما يطلق عليـه «النظريـات الطبيعيـة» Naturalism، فـ«ايونـج» يدعو إلى نظرية حدسـية فى معرفة «الخيريـة» Goodness و«الينبغيـة» oughtness شـبيهة بتلك النظريات التـى قدمها «مور»

(1) Thomas Baldwin: Contemporary Philosophy, Philosophy in English since 1945, Oxford University Press. New York, 2001, p.231.

(2) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص5.

(*) يشير الباحث إلى أن رسـل يختلف مع مـور فى أن الأول قد غير من نظريته الأخلاقية من الحدسية التصورية إلى النظرية الانفعالية أو العاطفية، ورسل فى هذه النظرية يساير مور، ولكنه سيتخلى عن هذه النظرية المورية لأسباب سوف أقوم بتوضيحها فى الصفحات القادمة، وذلك على النقيض من مـور الذى ظل معتنقاً هذه النظرية، حتى تأثر بها عدد لا بأس به من الفلاسفة.

(4) محمد مدين: جورج ادوارد مـور، مرجع سابق، ص98.

(5) المرجع السابق: ص101.

و«رسـل» و«ديفيد روس(*)» W.D.Ross و«برتشـارد(**)» من الفلاسفة الإنجليز، و«فرانز برنتانو(***)» Brentano و«مينونج(****)» Meinong من الفلاسفة الأوربيين[1].

(*) هو سير وليم ديفيد روس ولد فى 15 أبريل 1877م فى ثورثو، اسكتلندا، و إلتحق بكلية باليول، بجامعة أكسفورد، وله شهرتان عالميتان متميزتان: الأولى، يعد وليم ديفيد روس شخصية رئيسية فى دراسة فلسفة أرسطو، حيث كان محررًا عامًا لسلسلة فلسفة رسطو الصادرة عن جامعة أكسفورد، كما عمل على تحرير عدد لا بأس به من أعمال أرسطو باللغة اليونانية، سواء فى الميتافيزيقا أو الطبيعيات أو التحليلات، كما عمل على شرح فلسفة أرسطو ومعالجة النصوص اليونانية من أهم الأعمال الفلسفية فى القرن العشرين. أما الثانية، فإليه يرجع الفضل أيضًا أكثر من أى فرد آخر فى صياغة الأخلاق الحدسية صياغة جديدة فى الفلسفة المعاصرة، وتوفى روس فى أكسفورد فى 25 مايو 1971م.
See- Stanford Encyclopedia of Philosophy , At, http://plato.stanford.edu/entries/william-david-ross/ 18/2/2012.

(**) هو «هارولد آرثر برتشارد - فيلسوف بريطانى، ولد فى لندن (1871 - 1947م) وهو رائد جامعة «أكسفورد» فى الحدسية الأخلاقية، ولكن أول أعماله المنشورة كانت فى نظرية المعرفة، وقد استقى رؤيته عن نظرية المعرفة والفكر الدينى من الأستاذ «جون كوك ويلسون» John Cook Wilson ومن أهم أعماله المنشورة «نظرية المعرفة عند كانط» عام 1909م، و«هل تقوم الفلسفة الأخلاقية على خطأ» عام 1912م، و«الواجب والجهل بالواقع» عام 1932م، و«الإلتزام الأخلاقى» عام (1968-1949م)، و«المعرفة والإدراك» عام 1950م، وقد استنتج من خلالهم أن المعرفة فريدة، وبالتالى تكون نظرية المعرفة أمرًا مستحيلاً فـ«المعرفة هى المعرفة» واستدل من نظرية المعرفة على أن القيم الأخلاقية فى نهاية المطاف غير قابلة للتحليل أو التعريف، ويمكن التأكد منها فقط من خلال الحدس.
انظـر: مصطفى عبد الرؤف راشد: القيم الأخلاقية عند ستيفن بيبر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، 2011م، هامش ص204.

(***) فيلسوف مثالى نمساوى، أسهم بإضافات مهمة فى ميدان علم النفس، كان قسيسًا لمدة تسع سنوات، ولما لم يعجبه إعلان أن البابا معصوم ترك الكنيسة فى 1873م، وعمل مدرسًا فترة لا بأس بها فى جامعة فيينا. أهم كتابين من تأليفه، هما: «علم النفس من الوجهة التجريبية» فى 1874م، و«مصدر المعرفة الأخلاقية فى 1899م. وعندما كان اهتمامه الأساسى منصبًا على علم النفس التجريبى فقد أنشأ مذهبًا مثاليًا عن «غائية» الظواهر العقلية، وكان لآرائه تأثير كبير على هوسرل ومور. ويعد «برنتانو» أحد مؤسسى النظرية المثالية لفلسفة القيم بالنمسا.
انظر - خلف الجراد: معجم الفلاسفة المختصر، مرجع سابق، ص ص 45-44.

(****) الكسيوس مينونج (1853 - 1920) فيلسوف نمسوى، طور علم النفس القصدى الذى وضعه برنتانو، وأثرت نزعته الواقعية تأثيرًا عظيمًا فى رسل ومور وغيرهما من الواقعيين البريطانيين والأمريكيين. أنفق مينونج معظم حياته أستاذًا بجامعة كراتس، ومؤلفاته الرئيسية هى: «دراسات عن هيوم» (1877 - 1882)، «أبحاث نفسية - أخلاقية نحو نظرية فى القيمة» (1884)، «عن الإفتراضات» (1902)، «من الإمكان والإحتمال» (1915)، «عن الإنفعال حين يكون مشيرًا إلى معنى» (1917)، «عمل تمهيدى لنظرية عامة فى القيمة» (1923).
انظر - الموسوعة الفلسفية المختصرة: مرجع سابق، ص 473.

(1) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص ص 13،14.

وعلى الرغم من وجود فروق كثيرة بين هؤلاء الفلاسفة، إلا أننا إذا أخذنا هذه النظريات مجتمعة، فإننا نلاحظ أنها تنطلق من معظم الأشكال السابقة للبحث الأخلاقى، أى أنها ذات طابع «أخلاقى ميتافيزيقى» تمامًا، وأن الهدف الأساسى من هذه النظريات هو إجراء البحوث بغرض التوصل إلى مجمل القواعد المنطقية التى تحكم استخدام التعبيرات الأخلاقية فى أى مذهب أخلاقى[1].

ولقد أدت النظرية الحدسية بـ»ايونج» إلى التأكيد على قضية أساسية لا غنى عنها فى نظره- لقيام النظرية الأخلاقية، وهى استحالة وجود استدلال صحيح للقضايا الأخلاقية والقيمية عن طريق نوع من الاستدلال المنطقى من طبيعة الواقع دون أن نفترض - أولاً- صدق بعض القضايا الأخلاقية، وأنه بدون وجود هذه القضايا الصادقة صدقًا أولانيًا(قبليًا) Apriori لا يمكننا بحال أن نبدأ العمل فى فلسفة الأخلاق، ولا نجانب الصواب لو قلنا أن هذه الفكرة هى المسلمة الأساسية لدى أصحاب الاتجاه الحدسى[2]. وقد وافق على ذلك «هاستنج راشدال» حين عرف «الحدسية» بأنها النظرية التى ترى أن الحدس يبين على نحو «أولانى» كيف أن أفعال معينة تكون صوابًا أو خطأً وذلك بدون لجوء أو إشارة إلى نتائج هذه الأفعال.

من خلال ما سبق يمكن القول أن رسل يتحرك من وجهة نظر «موريـة» خالصة فى الأخلاق[3]. وذلك على الرغم من أن نظريته الأخلاقية كانت على امتداد كبير بوظيفة نظرياته العامة فى الفلسفة (المنطق وفلسفة العلم وفلسفة اللغة) حيث انطوت على غموض إلى حد ما فى تسلسلها المنطقى، ولكن على الرغم من ذلك كانت المشاكل التى تعالجها النظرية الحدسية من النوعية الكلية (التصورات الأخلاقية) من حيث مفهومها العام[4].

لقد اعتقد رسل أن الأحكام الأخلاقية إما أن تكون صادقة true أو كاذبة False فى أى أسلوب تكون عليه هذه الأحكام الأخرى، وكذلك يعد الخير Good والشر Evil والصواب Right والخطأ Wrong عبارة عن خصائص واقعية، وحقائق موضوعية تمامًا، ومستقلة كل

(1) بيتر إدواردز: مستقبل الأخلاق مرجع سابق، ص89.
(2) محمد مدين: الفريد ايونج، مرجع سابق، ص14.
(3) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 677.
(4) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.462.

الاستقلال عن تلك الذات المدركة له، مثلها فى ذلك مثل وجود الحشائش الخضراء، وكذلك الصلابة فى البرونز[1]. مما يؤدى إلى موضوعية وصدق الأحكام الأخلاقية.

وهذا يعنى بالتأكيد شرح لقول رسل فى صدق العبارة، وتمييز الواقعة عن الأشياء، فى قوله «عندما أتحدث عن واقعة ما فإننى لا أعنى شيئًا جزئيًا موجودًا مثل سقراط أو المطر أو الشمس، ذلك لأن سقراط فى حد ذاته لا يجعل أى عبارة صادقة أو كاذبة. ومن ثم يجب عليك ألا تفترض أن سقراط ذاته هو ما يضفى الصدق على العبارة، لأن ذلك يعد خطأ بكل تأكيد... فسقراط ذاته، أو أى شيء جزئى بذاته، لا يجعل أى قضية صادقة أو كاذبة، فنحن نعبر عن واقعة عندما نقول أن شيئًا معينًا له خاصية أو علاقة بشيء آخر»[2]. وهذا بالتأكيد ما أكد عليه «مور» من قبل عندما رأى أن الأخلاق ذات طابع كلى أو عام، وليس لها علاقة بالوقائع الفردية أو الجزئية التى تدرسها علوم أخرى كالجغرافيا أو التاريخ.

إن هذه القيم Values الأخلاقية التى ينادى بها رسل تشبه الحقائق فى مجموعها على حد تعبير «رونالد جاجير» Ronald Jager له، لدرجة يمكن أن نقول فيها أن القيم والحقائق على درجة واحدة، فالخير good والسيء Bad عبارة عن حقيقة واقعية مثل حقيقة الواحد والاثنين، وهذه الرؤية التى يقدمها رسل موجودة فى المقالات التى قدمها «مور» من قبل فى كتابة «أصول الأخلاق» Principia Ethica وكانت هذه الرؤية متوجة فى كتاباته الجدلية ضد البراجماتيين Pragmatists، ولذلك ظهرت تفاصيل نظرية مور الأخلاقية بكل وضوح فى مقال رسل «عناصر النظرية الأخلاقية» المنشور فى كتابه «مقالات فلسفية» Philosophical Essays[3].

لقد اعترف رسل بفضل صديقه «مور» فى معظم فلسفته، فيقول عنه «رودلف متس»: «أن رسل اعترف بذلك دون تحفظ وذلك فى مقدمة كتابه «مبادىء الرياضيات» فقال «أن

(1) Ibid: p.463.

(2) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص ص-162 163.

وانظر أيضًا- السيد عبد الفتاح جاب الله: فلسفة اللغة والمنطق عند ستراوسن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م، ص76.

(3) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.463.

موقفى فى جميع المسائل الفلسفية مستمد فى أهم معالمه من جورج مور»، وبفضل «مور» الذى لم يكن قد كتب عندئذ إلا بضعة مقالات فى بعض المجلات، أصبح رسل من أتباع نظرية المعرفة الواقعية الجديدة»[1].

رابعا: تصور الخيرية

ما المقصود بالخيرية؟ وهل يختلف الخير فى مفهومه الحدسي عن مفهومه فى النظرية النفعية والنظريات الأخرى؟ وما الجديد الذى أضفاه رسل فى تصوره الجديد للخيرية الميتا أخلاقية؟ أم جاءت تصوراته الحدسية للخيرية مطابقة لصديقه جورج إدوارد مور؟ وما العلاقة بين تصور الخير وتصور الصواب؟

يؤكد رسل على بديهيات الخيرية الأخلاقية، تلك البديهيات التى تحدث عنها «مور» من قبل فى «البرنكيبيا الأخلاقية»، فيرى رسل أن المعنى المقصود بالخير Good والسيء Bad هو أنهما عبارة عن أفكار Ideas محفورة فى ذهن كل إنسان، وبالتالى تكون هذه الأفكار عامة لدى البشر، وتنشأ هذه الأفكار البسيطة فى ذاتها من خلال أفكارنا المعقدة complex أى أنها تنشأ من خلال تحليل الأفكار الأكثر تعقيدًا[2].

إذن يؤكد رسل فى بداية تحليله للحد «خير» بأنه مفهومٌ بسيطٌ، نشأ من خلال تحليل الأفكار المعقدة الموجودة بالذهن، ولكن عندما يقوم شخص ما بسؤالنا «وماذا تعنى كلمة الخير؟ فإن الإجابة يجب أن تكون متطابقة ليست مع المفهوم اللفظى للكلمة بل مع واقعيتها، حتى تكون فى تطابق مع السؤال المطروح عن معنى كلمة «المخمس» Pentagone (الشكل الهندسى ذو الأضلاع الخمسة) [3].

ولكن هذا الوصف السابق بين المحمول «خير» وكلمة «المخمس» ينبغى أن يستدعى الفكرة المناسبة فى عقل السائل، حيث أنه من الممكن أن يحتوى الوصف على الخاصية ذاتها للسؤال المطروح عن مضمون فكرة الخير good، فإنه تشبه الطريقة التى يتعلم بها الأطفال أسماء

(1) رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، مرجع سابق، ص177.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.16.

(3) Ibid: p.16.